ع مطوية رقم (١) | مسلسل رقم (١٣٥) ٢٠١٩

مُبادَراتُ طابَة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة على صاحب الخُلق الأتم الذي بُعث لتمام أخلاق الأمم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأخلاق سر تقدم الأمم، وسبب الأزمات غياب الأخلاق

هناك أزمات كثيرة حصلت في زماننا فما هي القصة ؟

عشرُ سنواتٍ مضَت، عاش العالمُ فيها أزماتٍ كثيرةً، منها: الحُرُوب، وكثْرة القتْل، والسّرِقات، وانتهاكُ للأعْرَاضِ، والعُنْصُريَّة، والتَّطَرُّف؛ تَضَرَّر بسَبَبها الكثيرُ من الناس، كانوا ضحيَّةً لأشخاصٍ يتلاعبون بالإنسان؛ وكأنَّه لا قيمة له؛ ولوُجوده.

ونتاج ذلك كله: غياب الإنسانية، وتصارع النفوس، والابتعاد عن الامتثال للقِيَمِ الأخلاقية؛ مما أدى ذلك إلى تدهور خطير في الأخلاق.

تقاتل الناس، وكثرة الفتن، ووجود الفوضى من حولنا اليوم؛ إنما هو بسبب:

١. خروج الناس من سلطان العبودية لله تعالى.
٢. النداء بالتفلت والانحلال المطلق.
٣. الطمع في أن يُصبِحَ كل واحد منهم صاحب قوة ونفوذ.

حل مشاكل أمتنا

الحل لأغلب مشاكلنا يكمن في ترسيخ القيم والمبادئ الأخلاقية التي فطر الله الناس عليها، التي لا تعرف التحيز ولا العنصرية في أحكامها وتعاملاتها، وقد جاءت الأديان داعية وداعمة لها ولترسيخها وتنميتها وتطويرها.

بناء الإنسان هو الجانب الأهم

ماذا يترتب على بناء الإنسان

١. ارتقاء «الأفكار» التي تُدير «الأحداث».

↓

٢. إحسان التعامل مع «الأشياء».

↓

٣. رقي في «المجتمع».

↓

٤. بناء «للحضارات».

إنْ بُنِيَ الإنسان بغير قِيَمٍ أخلاقية، فماذا ينتج لدينا؟ :

١. عدم القدرة على إنشاءِ جيلٍ مستقيم وسَوِي

٢. اختلال في نظام السلوك ونظام الحياة.

وبِفَقْدِ هذه العناصر ينتج لدينا فساد في الفرد، والأسرة، والمجتمع، ويتسبب ذلك أيضًا في انهيار الأمَّةِ؛ لأنه لا حياة لأمة بدون أخلاق.

وصدق الشاعر أحمد شوقي عندما قدر بقاء الأمم ببقاء الأخلاق فقال:

"إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا"

وقال الرافعي في كتابه (وحي القلم):

"لو أنَّني سُئِلْتُ أنْ أُجْمِلَ فلْسفةَ الدِّينِ الإسْلامِيّ كُلَّها في لفْظَيْنِ، لقلْتُ: إنَّهَا ثَبَاتُ الأخْلاقِ."

المصدر: وحي القلم للرافعي- الجزء الثاني ص٦٩- - المكتبة العصرية

وتكمن أهمية الأخلاق في أنّ القرآن قدم التزكية التي هي الأخلاق على العلم، قال الله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة آية ١٥١)

مصدر الأخلاق:

إن كل مجتمعات العالم تدعي أن لديها قيم أخلاقية لكنها اختلفت في منابعها

لكن منبع القيم الأخلاقية عندنا هو الدين - الإسلام - والثوابت الشرعية التي لا تقبل التغيير والتبديل عبر الأزمنة والأمكنة ولا تعرف التحيز ولا العنصرية في أحكامها.

فقد ذكر فخر الدين الرازي : أن مبادئ الأخلاق وغائيتها موحى بها إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، فقد كانوا يُعلمون من أرسلوا إليهم كمال الأعمال وتمامها.

وإن حصيلة البحوث الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية تلتقي مهما اختلفت واتسعت، على توجيه الإنسان إلى ما هو الواجب أو الأفضل في نظر أصحاب هذه البحوث ..

وهي عبارة عن قناعات شخصية ومنظومة لأفكار وقيم إنشائية، توجد لفترة زمنية معينة ومن ثم يأتي آخر فينقضها بقناعات شخصية أخرى وقيم إنشائية جديدة.

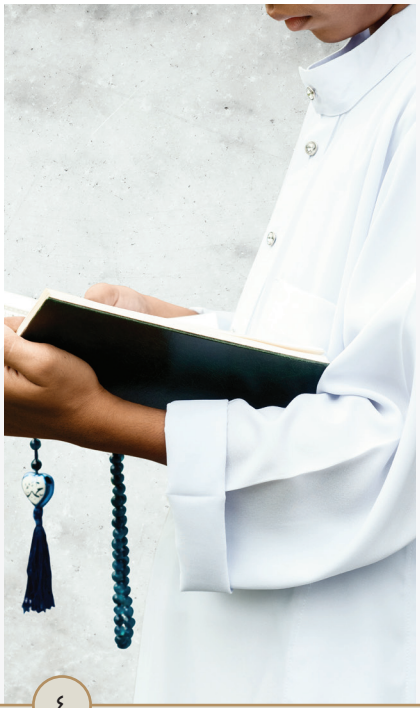

"والإنسان -غالبًا- يميل بفطْرته لأنْ يستجيب لما هو نابع من داخله أكثر مما يأتي من غيره."

وأمَّا الدين _ونعني به الإسلام_ فينطلق في أول الأمر بإخبار الإنسان عن مجموعة من الحقائق التي بداخله...

فيكشف له أمورًا كانت خفية عنه في أول أمره، فيراها ويشعر بوجودها داخله، وبعد ظهورها ودورانها بفكره وعقله واستحكامها وتأثيرها في مشاعره، يبدأ الانسان بالتعرف على هويته من جديد؛ بعد أن شعر بوجود حقائق بداخله لم يشعر بها من قبل، وسيدعو ذلك الشعور الإنسان إلى أن يقيد التفلت والانحلال بمقتضى ما اكتشفه.

بعد ذلك يقدم الإسلام للإنسان صفحة من الإرشادات والتعليمات المُسْتمَدَّة من واقعه -الذي سبق أن اكتشفه بداخله - فيستطيع بعد علمه ومعرفته بالحقائق التي بداخله أن يسير على تلك التعاليم والإرشادات، ويسهل عليه أن يواجه ويقف أمام ذلك التفلت والانحلال بالمرصاد.

> فيصير الإنسان في هذه الحالة كمن كان يمارس بعض الأخلاقيات والسلوكيات القبيحة، ثم يكتشف إنه كان يعاني من مرض ويجب عليه أن يعالج ذلك المرض بالابتعاد عن تلك التصرفات.

سبب رسوخ سلطان الدين _الإسلام_ في القيم الأخلاقية ونفاذه على غيره أنَّه نص إلهي، في حين بقيت محاولات الآخرين أفكارًا وقناعات شخصية، ليس لها تأثيراً على سلطانه.

وبناء على **ما سبق يستحسن أن** نذكر أمرًا مُهمًّاً، وهو أن تطبيق تلك الإرشادات **والتعليمات التي** نصَّ الشرع عليها، والسير على مضمونها إنما هو **أمر تعبدي أمر** الله تعالى به عباده

فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ **يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ** وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [سورة النحل: ٩٠]

فمن سار على هذه التعليمات والإرشادات استحق الثواب ومن خالفها استحق العقاب.

فالتكليف الإلهي أوجب على الإنسان ضرورة تهذيبه لنفسه والسير بها على منظومة القيم الأخلاقية، وفي حال استسلام الإنسان وخضوعه لضعفه البشرى بسبب الواقع المحيط به، وجب عليه سرعة الرجوع عن الخطأ وإعادة السير على منظومة القيم الأخلاقية إذ إنها ثابتة، والضعف والاستسلام الحاصل من الإنسان متغير.

معيار القيم الأخلاقية

الفطرة السليمة

من أهم ميزات اعتماد الفطرة السليمة للإنسان كمعيار ومصدر للحكم الأخلاقي، إدراك الإنسان ويقينه الذي نتج عن تفكره في ذاته، والصفات التي متعه الله بها من ينابيع الخير المجردة والسعادة الصافية، فبعلمه وتيقنه بما أودعه الله به يغلق نوافذ الفتن والشقاء وأسبابها، ويرجع إلى فطرته السوية السليمة.

رأينا حضارةً ، وتقدُّمًا، وقيَمًا أخلاقية بدون إسلام، وفي بلاد المسلمين غيابٌ للأخلاق؛ فما السبب؟

تقدم الحضارات ووجود القيم الأخلاقية في بلاد الغرب لا يعني أبدا أنها مستقلة عن الدين _الإسلام _ وأنها تستطيع أن تخلق مجتمعا فاضلا بدون دين. وإنما كما ذكرنا سابقا أن القيم الأخلاقية وصفات الخير نابعة من داخل الإنسان أوجدها الله تعالى بداخله فهو إن تعامل بها وطبقها ونشرها بين أهله ومجتمعه فهي أصل في كل البشر المخلوقين، وبذلك يكون قد غلب الصفاء والحسن والخير عند هذا الشخص أو في هذا المجتمع فنتج لدينا ذلك التقدم وتلك الحضارة في هذه البلاد.

وعدم وجود التقدم والحضارة في بعض بلاد المسلمين يكمن أيضا في أن الذي غلب على هذا الفرد أو على هذا المجتمع إنما هي الفتن والشهوات والغفلة والظلمات.

ففي أي بلـدة أو دولة غربية أو شرقيـة وجدت فيها منظومـة القيـم الأخلاقيـة واضحـة، فسـبب ذلك هـو تفعيـل الصفـات الحسنـة التي بداخل الإنسـان فينشأ الفرد السوي فيُؤَثِّرَ في أسرته وفي مجتمعه، وهذا واضح جلي في بلاد المسلمين، وقليل نادر في دول الغرب لتأثر الفرد والمجتمع بعدم الانضباط في الأقوال والأفعال على الحسن والسلوك السوي لغيـاب الـدين والتزام الفـرد والمجتمع بتعاليمه وسلوكياته.

> "مما سبق نستنتج أنَّ الأخلاق موجودة لكنها لا تكتمل ولا تتم بدون الدين - الإسلام."

جاء الدين الإسلامي مؤكداً لمنظومة القيم الأخلاقية وبيان ذلك كالتالي:

إن أهم ما بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم هو تمام الأخلاق، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

وكان النبي يحث عليها ويُرَغِّبُ فيها ويذكر فضلها وفضل من اتصف بها ويتضح ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم حينما قال: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقا»

وهذا أبو ذر لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، قال لأخيه: اركب لهذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق»

مبادئ الأخلاق والقيم لا تختلف عند الأديان السماوية، فالأديان متفقة على:

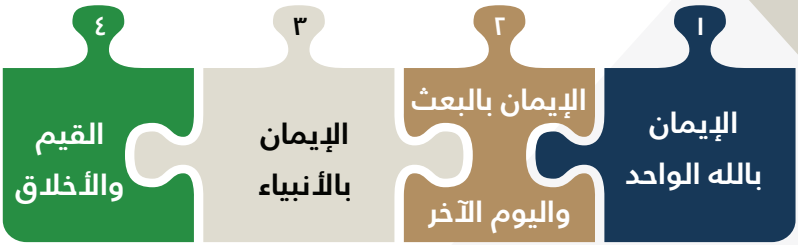

في الإسلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}

[سورة البقرة: ٨٣]

{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

[سورة النور: ٢٢]

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»

صحيح البخاري ١١/٨

في النصرانية

ورد في نصوص العهد القديم (والتي يؤمن بها اليهود والمسيحيون):

"كَلِمَاتُ فَمِ الْحَكِيمِ نِعْمَةٌ وَشَفَتَا الْجَاهِلِ تَبْتَلِعَانِهِ. اِبْتِدَاءُ كَلاَمِ فَمِهِ جَهَالَ وَآخِرُ فَمِهِ جُنُونٌ رَدِيءٌ."

(الجامعة ١٠: ١٢-١٣)

"فَمُ الصِّدِّيقِ يُنْبِتُ الْحِكْمَةَ أَمَّا لِسَانُ الأَكَاذِيبِ فَيُقْطَعُ. شَفَتَا الصِّدِّيقِ تَعْرِفَانِ الْمَرْضِيَّ وَفَمُ الأَشْرَارِ أَكَاذِيبُ"

(أمثال ١٠: ٣١-٣٢)

" وجه قلبك إلى الأدب وأذنيك إلى كلمات المعرفة" (أمثال ٢٣: ١٢)

"هنا يتضح لنا أنَّ الأديان جاءت لتهدي وتبني وترسخ القيم الأخلاقية في نفوس البشر."

عرف **الخُلق** العلامة الجرجاني في كتابه التعريفات فقال: هو هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة لفكر وروية.

وعرف **الرياضة** فقال: هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية؛ فإن تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته .

الخلاصة

١.نجاح الإنسان في حياته الدنيا وتقدم المجتمعات وتحضرها مرتبط بالسير على نظام القيم الأخلاقية.

٢.سبب خسران الإنسان تركُ النفس على هواها وابتعادها عن نظام القيم الأخلاقية.

٣.لا يكون تمام وكمال للأخلاق إلا بالدين_الإسلام_

٤.لابد للإنسان أن يبحث عن الحقائق التي بداخله لمعرفة نفسه.

٥.فلاح المؤمن الموحد بالله يكون بتزكية نفسه ومعرفة مراد الله تعالى من خلقه.

٦.فلاح الأمة لا يكون إلا بسيرها وسلوكها على طريق تزكية النفس وتهذيب الأخلاق.

٧. قال الله تعالى:

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [سورة الشمس: ٨-٩]

دساها أي: " خسر النجاة والفوز، من دسى نفسه بالعمل الخبيث والكفر، فوضع منها وأوردها غضب الله" من كتاب الهداية الى بلوغ النهاية.

مصادر المطوية :

١. صحيح البخاري وسنن أبي داود.
٢. كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية.
٣. كتاب وحي القلم للرافعي.
٤. كتاب التعريفات للجرجاني.
٥. كتاب شرح عيون الحكمة للرازي.
٦. كتاب الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية.

www.tazkiyah.net
facebook.com/TAZKIYAHNET
twitter.com/@TAZKIYAHNET
youtube.com/TAZKIYAHNET
instagram.com/TAZKIYAHNET

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org
دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH
PUBLICATION & DISTRIBUTION
مبادرة تزكية وعمارة هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات